السياسة الفرنسية لعزل الصحراء الجزائرية، وردود فعل الثورة

الأستاذ: عبد القادر بويه

I) الاستكشاف الفرنسي للصحراء:

بعد القضاء على المقاومات الشعبية وسقوط مدن الشمال أدركت السلطات الاستعمارية أهمية الصحراء الجزائرية كعمق للمقاومة ومعين لا ينضب بشريا واقتصاديا، كما أنها في موقع وسط يشكل حلقة الربط بين أرجاء الإمبراطورية الاستعمارية المزمع إقامتها في أرجاء إفريقيا، إذا باتت فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قوة عسكرية لها وزنها، فعمدت إلى بسط نفوذها على هذه الأقاليم الجنوبية واعتمادها قاعدة ارتكاز للتوسع الذي بدأته بالرحلات والبعثات الاستكشافية بتشجيع من الجمعية الجغرافية بباريس والتي خصصت عام 1855 مبلغ 6 آلاف فرنك مكافئة لمن يقوم برحلة من الجزائر إلى السينغال أو العكس مرورا بتمبكتو مع تقديم معلومات دقيقة عن الحواضر، السكان وطرق القوافل فتعددت الرحلات الاستكشافية والبعثات وكان منها:

- ✓ حملة دي كولمب: ديسمبر 1856 لاستكشاف توات وتيدكلت.
- ✓ حملة دو قيرييه: ماي 1859.
- ✓ حملة الرائد كولونيو والملازم يورن شتاء 1860.
- ✓ الرحالة الألماني جيرهارد رولف واللفيف الأجنبي بين 1862-1867.
- ✓ حملة الجنرال فالفيه: ديسمبر 1872.
- ✓ حملة سولييه: جانفي 1873.
- ✓ بعثة فلاتير: ديسمبر 1880 – لقي مصرعه على يد التوارث فيفري 1881.

- ✓ بعثة الملازم مارسال بلات 1886 – لقي مصرعه عند عين صالح.
- ✓ بعثة فورو – لامي أكتوبر 1898 نحو بحيرة تشاد.
- ✓ بعثة فلامون: خريف 1899: وتحولت إلى حملة عسكرية تمكنت من احتلال عين صالح.

وبعد القضاء على ثورة بوعمامة واحتلال توات توسعت السلطات الاستعمارية سريعا في الصحراء شرقا وغربا ومكنها ذلك من الإشراف على الصحراء الإفريقية جميعها.

II) دوافع اهتمام فرنسا بالصحراء ومحاولات التمسك بها:

قبل الخوض في الدوافع يمكن الإشارة إلى ازدواجية النظـــرة الفرنسية للصحراء قبل وبعد الثورة.

أ) **قبل الثورة:** الصحراء في نظـــر فرنسا جزء لا يتجزء من الجزائر ويسري عليها ما يسري على الجزائريين من القوانين وخاصة بعد دستور 1947.

ب) **بعد الثورة:** الصحراء الجزائرية جزء من المجال الصحراوي الواسع وليست جزء من الجزائر.

وقد تظـــافرت جملة عوامل دفعت فرنسا إلى التمسك بالصحراء الجزائرية منها.

1- دوافع اقتصادية:

وتتمثل في الثروات والخيرات التي تنعم بها الصحراء، فبالإضافة إلى الإمكانيات السطحية أثبتت أبحاث التنقيب في الخمسينيات من القرن العشرين اشتمال الصحراء على الغاز والبترول ففي جبال برقة قرب عين صالح جرى اكتشاف

الغاز سنة 1954 وفي حاسي مسعود اكتشف النفط سنة 1956، واكتشفت المعادن بكميات هائلة في منطقة الهقـــار، الحديد بتندوف والفحم قرب بشار.

2- دوافع عسكرية:

شكلت الصحراء الجزائرية في نظـــر فرنسا المجال الملائم لتكون مجال حيوي استعماري واسع وقد حققت ذلك، فمن الصحراء توسعت وقد زادت أهمية الصحراء عندما دخلت فرنسا النادي النووي فأجرت أول تجاربها برڤان في 13 فيفري 1960 ثم أخرى في 01 أفريل 1960 ثم 27 ديسمبر 1960 ثم رابعة في 25 أفريل 1961، فيما بين 1960 و 1963 فجرّت 13 قنبلة تحت الأرض في إنيكر قرب تامنغست، بالإضافة إلى تجريب الصواريخ والنبالم والغازات السامة.

3- دافع استراتيجي:

سعت فرنسا إلى إقامة قاعدة عسكرية في الصحراء استعدادا لحرب عالمية ثالثة بالإضافة إلى الإشراف على مصالحها الاستعمارية في القارة الإفريقية القريبة من الوطن الأم.

لأجل هذه الدوافع مجتمعة أقدمت فرنسا على حملة من المناورات لعزل الصحراء الجزائرية والتفرد بها وكان منها.

1-إنشاء المنظـــمة المشتركة للمناطق الصحراوية (O.C.R.S): ظـــهرت في 10 جانفي 1957 ويمتد نفوذها على عموم المناطق الصحراوية الشاسعة (الجزائر، موريتانيا، مالي، النيجر، تشاد) هدفها الاستصلاح والتوسع الاقتصادي والترقية الاجتماعية للمناطق الصحراوية وقد سعي إلى حرمان الجزائر من عمقها الصحراوي.

2- تغير الوضع الإداري والقانوني للصحراء: وجرى فيه استحداث وزارة خاصة بالصحراء في 13 جوان 1957 برئاسة ماكس لوقان، وتبع هذا الإجراء السياسي إجراء إداري في 07 أوت 1957 تمثل في إنشاء عمالتين (ولايتين) بالجنوب: الواحات، الساورة، وفي 15 نوفمبر 1957 تم إلحاقهما مباشرة بفرنسا وأصبح يطلق عليهما الصحراء الفرنسية، وبهذا الوضع أصبحت الجزائر تخضع لسلطـــة وزير الشؤون الجزائرية يقيم بالجزائر، ووزير شؤون الصحراء يقيم بفرنسا وسعت إلى تدويل هذا الوضع.

3- فتح أبواب الاستثمار في الصحراء: ادعت فرنسا أن الاستثمار بالصحراء يعوض على الغرب ما فاتهم في آسيا فقدمت تسهيلات عديدة للشركات المتعددة الجنسيات وخاصة الأمريكية منها من أجل الاستثمار في المجال البترولي غير أن استمرار حرب التحرير جعل مشروع لاكوست والاستثمار في الصحراء مغامرة محفوفة بالمخاطر.

4- مشروع الحكم الذاتي بالصحراء: عمد إليه ديغول ولتنفيذه لجأ إلى الاستعانة ببعض الشخصيات والأعيان من الصحراء بداية من سنة 1958، وكان من هذه الشخصيات:

أ) الحاج أخموك عن توارڤ الهڤار، وكان الاتصال به مرتين آخرها في جويلية 1961، والذي رفض رفضا قاطـــعا مصيرا للهڤار دون الجزائر الموحدة.

ب) حمزة بوبكر، نائب الواحات والذي كلف سنة 1959 شرح مشروع يرمي لإقامة جمهورية صحراوية، وقد سعى الرجل في المشروع في اجتماعي الأغواط والعاصمة لكن الثورة أحبطت الفكرة.

ج) إبراهيم بيوض، عن منطقة ميزاب ووعده ديغول بمملكة ميزابية، لكن الرجل رفض رفضا قاطـــعا، وأعلن تأييده المطلق للثورة.

د) مولاي الشريف المعروف بفوغاس عن توارڤ إليزي، أيد الفكرة ثم غادر الصحراء إلى ليبيا.

5- إستبعاد الصحراء من تقرير المصير: أعلن عليه ديغول في 16 سبتمبر 1959 إذ اقترح فيه استقلال العمالات الإثني عشر الشمالية دون ولايتي الصحراء.

6- مناورات التفاوض: شكلت مسألة الصحراء الاحتفاظ بها حجر عثرة في جل المفاوضات وخاصة في لوسرين فيفري 1961 ،حين اعتبر جورج بومبيدو أن الصحراء فرنسية وهي من الأمور التي لا نقاش فيها.
غير أن نجاحات الثورة ميدانيا جعلت ديغول يعترف في 05 سبتمبر 1961 بسيادة الجزائر على صحرائها.

III) ردود فعل الثورة على السياسة الفرنسية في مسألة الصحراء:

في محاولة لإفشال مشاريع فرنسا في الصحراء اعتمدت الثورة سياسة شاملة كان منها.

1)- على الصعيد السياسي:

أكد مؤتمر الصومام أوت 1956 في قراراته وحدة التراب الجزائري بما فيها الصحراء، وفي 1958 أعلنت الحكومة المؤقتة عدم مشروعية الاتفاقية التي تعقدها الحكومة الفرنسية والشركات البترولية كما رفضت سنة 1959 مشروع تقرير المصير على خلفية محاولة عزل الصحراء، وعلى إثر فشل مفاوضات ايفيان الأولى جوان 1961 دعت الحكومة المؤقتة إلى اعتماد يوم 05 جويلية 1961 كيوم وطني ضد التقسيم وعزل الصحراء، ونظمت فيه مظاهرات رفعت فيها شعارات «الصحراء الجزائر» – الجزائر موحدة.

2)- على الصعيد العسكري:

بداية من 1957 قامت الثورة بعدة أعمال عسكرية في الصحراء استهدفت المصالح الفرنسية خاصة النفط في حاسي مسعود والعجيلة، بإضافة إلى تفجير

أنبوب نفط حاسي مسعود – سكيكدة عدة مرات ولما حاولت فرنسا نقله عبر تونس ووقعت في ذلك اتفاقية جوان 1958 احتجت الثورة لدى السلطات التونسية واعتبرت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هذا الاتفاق طـــعنة من الخلف للثورة.

3)- على الصعيد الدبلوماسي:

استغلت الحكومة المؤقتة تفجيرات فرنسا بالصحراء فسعت إلى جمع تأييد الدول الإفريقية، باعتبار مخاطر هذه التفجيرات تهدد إفريقيا مجتمعة، ونجحت الدبلوماسية الجزائرية في كسب تأييد منظـــمة حركة عدم الانحياز سبتمبر 1961 بيوغسلافيا حيث ندد المؤتمر في قراراته بسياسة فرنسا في الجزائر وفكرة التقسيم وعزل الصحراء، وفي نوفمبر 1961 صادقت الجمعية العامة بأغلبية 61 صوت، على مبدأ تقرير المصير واستقلال الشعب الجزائري في إطار الوحدة الترابية.

وبذلك نجحت الثورة الجزائرية في كسب جولة معركة الصحراء ضمن حرب التحرير الشاملة التي انتهت بانهيار فرنسا وإقرارها استقلال الجزائر ووحدتها البشرية والترابية.

قائمة المراجع المعتمدة:

- محمد الامين بلغيث: تاريخ الجزائر المعاصر.
- الهادي درواز: الولاية السادسة في تاريخ الثورة.
- عبد المجيد دواس: الشامل في تاريخ الثورة.
- إبراهيم مياسي: محاضرة ضمن الملتقى الوطني حول الثورة، عين صالح ديسمبر 1997.
- العزاوي فانحة، كروم لالة: مذكرة لنيل شهادة الليسانس – معهد التاريخ 2005.
Renè Pottier: Histoire du Sahara-